



مراجعة وتطوير: غانم بيبي ود. فادية حطيط، ود. هيام لطفي، ود. بشرى قُدورة (لبنان)،
وصبري سيحا (مصر)، ود. هيفاء أبو الجبين، ودعد هداية (الأردن)،
ود. غسان عيسى ولارا عودة ويوسف حجار (ورشة الموارد العربية)، وبسمة فاروق
وتمام نصار (مؤسسة الآغاخان).

ترجمة: كلود وهبه ورانيا ساحلي.

تحرير: غانم بيبي مع لارا عودة.

فريق التنسيق: د. غسان عيسى ولارا عودة مع هبة القاضي.

مدخل إلى مقرّر علوم تنمية الطفولة المبكرة

لائحة المحتويات:

أولاً: ما الحاجة إلى هذا المقرّر؟

ثانياً: ما مصدر المادة؟

ثالثاً: ما الجديد في هذه المادة؟

رابعاً: الشركاء في المشروع

خامساً: كيف عملنا على الإصدار العربي؟

إن المعرفة العلمية والاختبارية لنمو الطفل في تطوّر مستمر:

- في العقود الأخيرة، كان من شأن الأبحاث البيولوجية، لاسيما في مجال نموّ الدماغ في الأشهر والسنوات الأولى، وكذلك الأبحاث الميدانية الطويلة المدى حول تأثير العمل المبرمج مع الأطفال والأهل، أن تنتج معرفة متجددة لهم في تحسين فعالية برامج الطفولة المبكرة وإضفاء مصداقية أعلى على السياسات الداعمة لهذا القطاع.
- من جهة أخرى، لا يزال قطاع الطفولة المبكرة في المنطقة العربية بحاجة ماسة (وهي حاجة تزداد كل يوم) إلى أعداد متزايدة من المهنيين الكفويين، لاسيما من المربين والمربيات، لتجديد وتطبيق مقاربات العمل مع الأطفال وأهاليهم، والتوسّع في المشاريع بما يساعد على الوصول إلى الأعداد الكبيرة منهم التي لا تزال خارج إطار العمل المبرمج. على سبيل المثال، ما زال هناك حوالي ٨٠٪ من الأطفال غير الملتحقين برياض الأطفال في البلدان العربية.
- هناك أشكال عديدة من التدريب المهني، ما قبل وأثناء الخدمة، قائمة في البلدان العربية، ولكنها لا تكفي لتغذية القطاع والتجاوب مع الطلب المتزايد.

هذه المادة تهدف إلى تقوية دعائم المعرفة العلمية التي تركز عليها برامج الطفولة المبكرة الميدانية. فهي بحاجة إذاً أن ترتبط بالتدريب على الممارسات المهنية على اختلافها (مثلاً في رياض الأطفال أو في العمل مع الأهل... الخ)، أكان ذلك قبل الخدمة أو أثناءها، لكي تكتمل حلقات التأهيل المهني.

قامت «ورشة الموارد العربية» بترجمة ومواءمة منهاج تدريبي جديد على علوم تنمية الطفولة المبكرة، وهو مأخوذ عن مادة موسّعة أنتجتها «كلية رذ ريفر» في كندا (Red River College)، وطوّرت منها نسخة «دولية» بالتعاون مع مؤسّسة الآغاخان، التي هي أيضاً شريكنا في تطوير قطاع الطفولة المبكرة في البلدان العربية.

هذه المادة التدريبية متوقّرة الآن في شكلين رئيسيين:

- الصيغة الموسّعة باللّغة الإنكليزية فقط، وهي معدّة للاستخدام على الشبكة الرقمية «أون لاين»، ويتم التدريب عليها خلال ثلاثة عشر (13) أسبوعاً بإشراف عدد مناسب من المدرّسين والمنسّقين. (من المفيد القول هنا أن مؤسّسة الآغاخان قد استخدمت هذه المادة لتدريب أكثر من 125 من العاملين والعاملات لديها، في مختلف البلدان والبرامج التي يعملون فيها، لا برنامج الطفولة المبكرة فحسب).
- الصيغة المختصرة المعدّة للتدريب في ورش عمل من خمسة أيام، نقلتها ورشة الموارد إلى اللّغة العربية، بعد أن قامت مؤسّسة الآغاخان بتطبيقها واختبارها بالأصل الإنكليزي في أماكن عدّة من العالم. كما تمت في إطار البرنامج العربي لتنمية الطفولة المبكرة تجربة الصيغة العربية في ورشة تدريبية في أكتوبر 2014 في إطار APECD.

يتوزّع محتوى المادة التدريبيّة في شكلها على الوحدات الخمس التالية:

١. نمو الدماغ:

يتضمّن أحدث الدراسات في تطوّر الدماغ، كذلك مفاهيم مثل علوم الخلايا والجينات والوراثة الجينيّة والوراثة اللاجينيّة، علوم تساعد على برهنة مدى تأثير الجينات والبيئة معاً في رسم مسارات التطوّر والنموّ منذ الحمل وكذلك تأثيرها مدى الحياة.

٢. التكيف والكفاءة:

يستكشف هذا المحور مجموعة من المعارف والقدرات والمهارات مثل التأقلم مع التحدّيات، والتعاطي مع الإحباط، وإدارة الخوف، والتوتّر، فضلاً عن التأقلم مع الأوضاع الجديدة والتمتّع بالمرونة والقدرة على التعافي لدى بعض الأطفال دون غيرهم. ويذكر أيضاً أن البكاء، والمزاجية، والخوف، والإجهاد، والعدوان. كلّها ممارسات تمّت دراستها ضمن إطار علاقات الرعاية المحيطة بالطفل.

٣. التواصل والتعلّم:

يستكشف هذا المحور كيف يفكر الطفل ويتعلّم. وهو يطرح مفاهيم جديدة ومثيرة حول ذاكرة الطفل. ينطلق المحور من مبادئ وآليات تعلّم اللّغة والرياضيّات، مثلاً، نحو تحديد أنواع الممارسات والبيئات التي تدعم التعلّم عند الأطفال بشكل أفضل.

٤. إيكولوجيا الطفولة:

ينظر هذا المحور في المحيط الذي يعيش فيه الطفل خبراته الأولى، ومنها الحياة في المنزل، وبرامج الطفولة المبكرة، والمجتمعات المحيطة والسياسات الحكوميّة. يشدّد هذا المحور على التأثيرات الإيجابية للتدخلات المبكرة كدليل يقود إلى تحسين البيئات التي ينمو فيها الأطفال الصغار.

٥. الصحّة النمائيّة:

يعطي نظرة واضحة وشاملة على التأثير البعيد المدى الذي تتركه السنوات الأولى من حياة الإنسان في حياته كفرد وفي المجتمع ككلّ، ويستكشف تفاصيل الاختلافات بين الأسر والمجتمعات من حيث التعامل مع حاجات الطفولة المبكرة.

تشمل كل وحدة على مادة علميّة واختباريّة تُعرض في:

- نصوص مكتوبة.
- مقابلات مصوّرة مع أخصائيين تطرح الأسس العلميّة والاختباريّة التي تستند إليها المفاهيم والمعرفة.
- أنشطة يستخدمها الميسر لتحفيز تفاعل المتدرّبين والمتدرّبات وتجديد وزيادة المعرفة لديهم.
- أوراق مفيدة للتوزيع على المشاركين.

- دخلت ورشة الموارد العربية منذ بضعة سنوات في شراكة مع «كلية رد ريفر» و«مؤسسة الآغاخان» و«المجموعة الاستشارية الدولية لتنمية الطفولة المبكرة» (CGECCD) بهدف تطوير مشروع يستخدم هذه المادة للتدريب في المنطقة العربية، مع توفير إمكانات الاستدامة والتوسع.
- من جهة أخرى، تم إرساء شراكة بين المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم (الألكسو) و«ورشة الموارد العربية» لتنفيذ البرنامج العربي لتنمية الطفولة المبكرة (APECD)، وهو واحد من خمسة برامج تُشكّل البرنامج العربي لتحسين جودة التعليم (ARAIEQ - للألكسو - تستضيفه وتنفّذه ورشة الموارد العربية)، فأصبح المشروع الأول جزءاً أصيلاً في برمجة وتمويل البرنامج العربي لتنمية الطفولة المبكرة. وقد عُقدت ورشتا العمل على تطوير الإصدار العربي في هذا الإطار.
- بناءً على مقاربتها الجمعية، سعت ورشة الموارد العربية إلى أن يصبح المشروع - من خلال تطويره الحالي كما في المستقبل - قابلاً لإشراك أكبر عدد ممكن من الفرقاء العاملين في تدريب العاملين والعاملات في قطاع الطفولة المبكرة في المجتمعات العربية.

التحضير لهذا الإصدار حتى يصبح أكثر قابلية للاستخدام في المنطقة العربية، شمل المحطات الآتية:

١. ترجمة المادة كما هي إلى العربية.
٢. التفاعل والتعاون مع خبيرتين من برامج الآغاخان في سورية ومصر شاركنا في دورة دولية على هذه المادة. الخبيرتان شاركتنا في كل محطات التحضير والتغذية والتطوير.
٣. تدريب عدد من المهنيين ذوي الخبرة في مجال الطفولة المبكرة واختبارها معهم.
٤. إغناء المادة وتحديثها وتطويرها بما أمكن من تجارب عربية متراكمة (نصوص، مقابلات، أمثلة، نشاطات... الخ). وتمّ ذلك لاحقاً من خلال فريق متخصص في فرق وورش عمل.

جرى ذلك في ٣ مراحل:

المرحلة الأولى: طرح المادة كلها في ورشة عمل إقليمية لعرض الوحدات، واختبارها واختبار ملاءمتها بيانات العمل المتباينة^١. اشتغل المشاركون على:

- اكتساب معارف جديدة وحديثة في العلوم ذات صلة بتنمية الطفولة المبكرة.
- اختبار المادة العلمية والعملية بهدف تقييمها والتباحث في السبل الأجدى للتدريب عليها في المنطقة العربية.
- تجميع اقتراحات وتنظيم مساهمات لتعريب المادة وضمان ملاءمتها مع ديناميكية واحتياجات قطاع الطفولة المبكرة في البلدان العربية.
- دراسة إمكانات التوسع في استخدام المادة في تدريب مهنيي قطاع الطفولة، وما يحتاجه ذلك من إمكانيات مؤسسية وبشرية ومادية.
- التباحث في الحاجة إلى صيغة للتدريب على المادة «أون لاين» وما هو مطلوب لبنائها.

المرحلة الثانية: جرى ضم مُخرجات ورشة العمل إلى المادة وقُدّمت صيغة متطورة من المادة إلى اجتماع فريق خبراء المشروع الإقليمي الذي أعاد مراجعة النصوص مراجعة مفصلة وأجرى تعديلات تيسر استخدامها في التدريب في المنطقة العربية. إشتغل الخبراء طوال ٤ أيام على النصوص المطورة التي قدّمها محرر المشروع غانم بيبي من خلال:

- مراجعة كل النصوص بدقة في ضوء التعديلات التي أدخلت بعد ورشة العمل الإقليمية، وتوصيات المحرر.

١. انتظمت الورشة في عمان - الأردن، ١٣-١٧/١٠/٢٠١٤، وجمعت ٣٦ مشاركة ومشاركاً من ٩ بلدان عربية.

- تقرير ما يجب أن يضاف/يحذف من أفلام ونصوص وصور.
- تقرير محتويات وشكل المنهاج في هذه المرحلة وما يمكن إحالته إلى المرحلة القادمة.

المرحلة الثالثة: عمل مديرا التحرير غانم بيبي ولارا عودة على المراجعة الأخيرة وعلى توضيب المواد وتيسير إخراجها في حلّتها الراهنة وإعدادها للنشر.

في الشغل على المادّة، ركّز المشاركون والمشاركات على المهام التالية:

- الإلمام بمحتويات المادّة ومنهجية عملها.
- طرح التحدّيات الكبرى التي يُواجهها قطاع الطفولة المبكرة في التفاعل مع المعرفة العلميّة.
- العمل على الفصول بالتتالي: عرض المادّة، وتنفيذ نشاطات في الوحدات تساعد في التعمّق في المعرفة التي تقدّمها.
- تقييم جماعي للمادّة من ناحية المحتوى وملاءمتها لحاجات التدريب في البلدان العربيّة.
- تقديم اقتراحات تستفيد من التجارب والموارد المتراكمة لإغناء المادّة التدريبيّة والعملية الواقعيّة في المنهاج.
- وضع توصيات حول كيفية نشر المادّة والتوسّع في استخدامها، بما في ذلك ما يلزم من دعم وكفاءات.
- تحديد التزامات المشاركين والشركاء الطوعيّة في التبنّي الأوسع والمتابعة.